دراسة التعابير الاصطلاحية في العربية بين النظرية و التطبيق

حميدرضا حيدري*

أستاذ مساعد بجامعة العلامة الطباطبائي- طهران

الملخّص

التعابير الاصطلاحيّة هي عبارة عن مجموعة تراكيب أو عبارات قد تجاوزت معناها الوضعيَّ أو اللغويَّ إلى معنى أو معانٍ ثانوية يتوقّف فهمها على سياقها في الجملة. والتعابير الاصطلاحية تنقسم من الجانب البنيويّ إلى التعابير الفعلية و الاسمية و الحرفية كما أنها تنقسم من الجانب الدلالي إلى الكناية و الاستعارة و التمثيل إلاّ أنّ بعض التعابير كسائر مكوّنات اللغة لم تسلم من التطوّر الدلالي على مرّ العصور و للمجاز دور مهم في هذا التطوّر. والتعابير الاصطلاحيّة تشارك المفردة في ظاهرتين هما ظاهرتا الترادف و الاشتراك اللفظي فثمة تعابير ترد مترادفة فتأتي في أكثر من صورة لفظيّة مع الاتفاق في المعنى كما أنّ لبعض التعابير صورة لفظيّة واحدة و أكثر من معنى حسبما يقتضيه السياق. أما التعابير من حيث المأخذ فهي تنقسم إلى التعابير القرآنية و النبوية و التراثية و المستحدثة و المعرّبة.و فيما يتعلّق بالدراسة المقارنة بين التعابير العربية و الفارسية فإننا نجد تعابير متشابهة بين اللغتين سياقاً و دلالةً و نواجه أحيانا أخرى تعابيرمختلفة سياقاً ومتشابهة دلالة كما أنّ هناك تعابير متشابهة سياقاً و مختلفة دلالةً.

الكلمات الدليلية: التعابير الاصطلاحيّة، الكناية،الاستعارة،التمثيل ، السياق.

---

*. E-mail: heidari_h@yahoo.com

تأريخ الوصول: ١٣٩٠/٠٩/٢٧؛ تأريخ القبول: ١٣٩٠/١٢/١٨

المقدمة

في كل لغة مجموعة تراكيب و عبارات اصطلح الناس عليها و شاع استعمالها بينهم في مناسبات معينة و هي قد تجاوزت معناها الوضعي الدالّ عليه في اللغة إلى معانٍ ثانوية لا يمكن فهمها من ظاهر ألفاظها و إنّما فهمها يتوقّف على سياق تركيبها و عبارتها و هي تشمل كلّ تعبير يتكوّن من لفظين أو أكثر و تنسجم معاً في الوضع الذي يقتضيه علم النحو إلاّ أنّها في النهاية تؤدّي إلى دلالة تختلف عمّا يقتضيه ظاهر التركيب، وهذا هو ما نعني به «التعبير الاصطلاحي» و مداره على الكناية و الاستعارة و التمثيل، و لنتعرّف بوضوح إلى التعبير الاصطلاحي لا بدّ أن نأتي بنموذج ليتبيّن مدلول التعبير الاصطلاحي:

– ضرَبَ به عُرضَ الحائط: هذا تعبير اصطلح عليه الناس لبيان ترك الأمر المقصود و إهماله و الإعراض عنه احتقاراً.

لو ندقّق النظر إلى هذا التعبير يتضح أن مفرداته قد تجاوزت معناها الحقيقي أو الوضعي أو المعجمي إلى معنى آخر لا يُفهم من ظاهرها بل يُفهم من سياق تركيب التعبير. و هذا التعبير ليس إلاّ نموذجا بسيطا للكثرة الكاثرة من التعابير الاصطلاحية التي اصطلح عليها الناس و شاع استعمالها بينهم.

التعابير الاصطلاحية

التعابير الاصطلاحية أو العبارات الاصطلاحية ليست مما تناوله المتقدّمون بهذه التسمية بل هي ترجمة لكلمة «Idiom» أو «Idiom expression». يقول البعلبكي في هذا الشأن:

Term: العبارة الاصطلاحية:عبارة ذات معنى لا يمكن أن يدرك من مجرّد فهم معاني مفرداتها منفصلةً. (البعلبكي، ٢٠٠٩).

غير أنّ هذا التعريف أو ما هو قريب منه لفظاً أو دلالةً هو ممّا تحدّث عنه عبد القاهر الجرجاني في كتابه الدلائل حيث قال عند الحديث عن ضروب الكلام:

«الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده،و ذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيدٍ مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيدٌ، و بالانطلاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق، و على هذا القياس. و ضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. و مدار هذا الأمر على الكناية و الاستعارة و التمثيل» (عبدالقاهر الجرجاني، ١٩٨٨، ٢٠٢).

كما هو المعلوم إنّ الجرجاني قسّم الكلام على ضربين والضرب الذي هو موضوع بحثنا هو الضرب الثاني الذي لانصل من خلاله إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده بل اللفظ في هذه الحالة يدلّ على المعنى الذي تقتضيه اللغة فنفهم منه دلالة أخرى نصل بها إلى الغرض. و لكي يتّضح لنا التعريف فلابدّ من أمثلة على ذلك:

– ما إن خطف اللصّ حقيبته حتّى أطلق ساقيه للرّيح واختفى عن الأنظار.

نجد في الجملة تعبيراً اصطلاحياً هو «أطلق ساقيه للرّيح». فهذا التعبير ينطبق على الضّرب الثاني من الكلام حسب التصنيف الذي قدّمه الجرجاني.

فالذي يقرأ هذا التعبير إذا لم يعهده من قبل و لم يقف على مدلوله واستعمالاته، لايتمكن من أن يصل إلى المعنى الذي وضع له في اللغة مستعيناً بظاهر ألفاظه؛ إذ إنّ كلّ مكوّنات التعبير إن دلّت على معناها الوضعي لا تنتقل بالقارئ إلى المعنى الذي يقصده المتكلم لأنّ وضع الفعل (أطلق) إلى جانب الساق مع ذكر المتعلّق (للرّيح) ممّا لايمكن الأخذ بظاهره لأنّه لايتناسب و سياقَ العبارة وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ طريق فهم معنى التعبير ليس إلاّ بالالتفات إلى ما تقتضيه الجملة.

– ما أعار أبويه أذناً صاغيةً فتزوّج من بنت أرته الكواكب بالنهار.

تشتمل هذه الفقرة على تعبيرين اصطلاحيّين، أولهما: «ماأعار أبويه أذناً صاغيةً» و ثانيهما: «أرَته الكواكبَ بالنهار». وأما التعبير الأوّل فهو يتكوّن كالثاني من كلمات تدلّ على معنى جديد يختلف عن المعاني التي تدلّ عليها الكلمات المكوّنة له منفردةً. و شرح ذلك أنّ إعارة الأذنين للأبوين ليس ممّا يتمّ في الواقع الخارجي لأنّ الأذن كعضو من أعضاء الجسم لا تصلح إعارتها الآخرين. و أما التعبير الثاني فهو أيضاً يدلّ على معنى جديد يختلف عمّا يقتضيه ظاهر التركيب لأنّ الكواكبَ لا يمكن إرائتها للآخرين في عزّ النهار فلذلك إذا أمعنّا النظر في استعمال التعبيريتبيّن لناأنّ الغرض من التعبيرين ليس ما يستفاد من ظاهر التراكيب و إنّ معناهما على الترتيب هو «اهتمّ بكلامه» و «أصابه بمكروه لم يعهده من قبلُ».

نعود إلى ما تبقّى من كلام الجرجاني في هذا الشأن:

«أولاتري أنك إذا قلت في المرأة: نؤوم الضُّحي فإنّك في جميع ذلك لاتفيد غرضك الذي تعني من مجرّد اللفظ، و لكن يدلّ اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثمّ يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك كمعرفتك من كثير رَماد القِدر أنّه مضياف. و من طويل النجاد أنّه طويل القامة، و من نؤوم الضحي في المرأة أنّها مترفة مخدومة لها من يكفيها من أمرها» (عبدالقاهر الجرجاني، ١٩٨٨، ص ٢٠٢)

فكما نرى في كلام الجرجاني أنّه قد أراد بذلك الكناية، و الكناية كما عرّفها التفتازاني هي «لفظ أريدَ به لازم معناه مع جواز إرادته معه» (سعدالدين التفتازاني، بلا تاريخ، ص ١٨٢). إذن كما قلنا آنفاً إنّ الكناية أحد محاور التعبير الاصطلاحي وهي أكثر التعابير انتشاراً. و أما المحور الثاني الذي اشار إليه فهو الاستعارة حيث يقول:

«و كذا إذا قال: رأيت أسداً و ذلك الحال على أنّه لم يُرد السَّبُع علمت أنّه أراد التشبيه، إلاّ أنه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لايتميّز من الأسد في شجاعته» (عبدالقاهر الجرجاني، ١٩٨٨، ص ٢٠٢)

و أما المحور الثالث فهو التمثيل حيث يقول عنه الجرجاني:

«وكذلك تعلم في قوله: بلغني أنّك تقدّم رِجلاً وتؤخّر أخرى أنه أراد التردّد في أمر البيعة، واختلاف العزم في الفعل وتركه على معنى الشرح فيه» (عبدالقاهر الجرجاني، ١٩٨٨، ص ٢٠٣)

و فيما يلي نموذج آخر من التمثيل:

– أ حشَفاً و سوءَ كيلة:أي هل تجمع خصلتين مذمومتين في آنٍ واحدٍ. كبائع تمر يعرض لزبائنه التمور الرديئة فلا يكتفي بذلك بل ينقصهم في الكيل.

– معادله في الفارسية: كم كارى و بد كارى،كار بد مي كنى و دوقورت ونيمت باقى است؟

و كما يبدو جليّاً أنّ الفعل محذوف تقديره «أ تبيع الحشَفَ و تسوء الكيلَ؟»

قد استخدم هذا التعبير في الشعر العربي، منه شعر أبي الحديد في بحر الرجز:

أ حشَفاً ويك و سوءَ كيله خذ ما صفا من هذه النخيله

(الموسوعة الشعرية، ابن أبي الحديد، ٢٠٠٣)

و التمثيل أقلّ انتشاراً من الكناية والاستعارة حسبما توصّل إليه الباحث عند عملية جمع ومراجعة التعابير الاصطلاحية.

و أخيراً فقد أشار عبدالقاهر إلى المعنى ومعنى المعنى اللذين يشكّلان نقطتين رئيستين في موضوع التعبير الاصطلاحي:

«وإذا عرفت هذه الجملة، فهاهنا عبارة مختصرة،و هي أن تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة بمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثمّ يُفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسّرت لك» (عبدالقاهر الجرجاني، ١٩٨٨، ص ٢٠٣).

والآن وبعد تناول التعابير الاصطلاحية يمكن تلخيص القول:

إنّ التعابير الاصطلاحية مجموعة تراكيبَ وعباراتٍ تجاوزت معناها الوضعي أو اللغوي وهي قد اكتسبت معنى أو معانٍ ثانوية يتوقّف فهمها على السياق.

وعلى هذا الأساس يمكن تحديد نطاق التعابير الاصطلاحية كما يلي:

١- التعبير الاصطلاحي تركيب أو عبارة و لاغير وبالتالي يتألّف التعبير الاصطلاحي من لفظين أو أكثر .فلذا لايمكن اعتبار المفرد تعبيراً اصطلاحياً اللهم إذا كان فيه لفظ مقدّر.

٢- التعبير الاصطلاحي يستخدم في معنى غير وضعي فهو من المجاز وماعدا ذلك لايعتبر تعبيراً اصطلاحياً.

٣- التعبير الاصطلاحي يكتسب معناه الثانوي أي معناه غيرالوضعي من خلال الجملة و قرائنها.

هذا و مايجدر بنا الإشارة إليه في هذا المضمار أنّ هناك تعابيرَ أو عبارات اصطلاحيةً تطوّرت دلالاتها على مرّ الزمن حيث تحوّل معناها المجازي إلى المعنى الحقيقي.و هذه الظاهرة في التحوّل الدلالي تحصل بسبب شيوع استعمال التعبير لدي الجمهور وكذلك وجود العلاقة المتقاربة والمترابطة بين المعنيين الحقيقي والمجازي بحيث لايعتبره الناس تعبيراً ذا معنى مجازي بل يظنّونه عين الحقيقة وهناك أمثلة كثيرة على ذلك،منها:

- ألقى المجرمُ سلاحَه واعترف بما اقترفه من الجرائم ضدّ المواطنين.

الجملة تحوي تعبيراً اصطلاحيّاً هو تعبير «ألقى السلاح»الذي بات من التعابير الشائعة والذي يعادله في الفارسية «سلاح را انداخت،سلاح را زمين گذاشت».فهذا التعبير يعطينا المعنى الحقيقي وهو الاستسلام إذ إنّ إلقاء السلاح لايحصل إلاّ إذا استسلم الفرد لخصمه.بينما لو ندقّق النظر في التعبير نجد أنه تعبير اصطلاحي حسب التعريف الذي قدّمناه آنفاً. فالعلاقة التي بها يترابط المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قريبة جدّا بحيث يُشعر المتكلّم أو السامع أنّ هذا التعبير ليس مجازاً بل هو الحقيقة تماماً.

أقسام التعابير الاصطلاحية

فيما يتعلّق بأقسام التعابير الاصطلاحية فإنّ الباحث قد قسّمها على ثلاثة أنواع رئيسة حسب المنطلق الذي درسها.و على هذا الأساس فقد تمّ دراسة التعابير الاصطلاحية بنيويّاً،و دلالياً و مأخذيّاً.

و فيما يأتي سنتحدث عن المجالات الثلاثة:

١- التعابير الاصطلاحية بنيةً

تنقسم التعابير الاصطلاحية إلى ثلاثة أقسام حسب بنيتها،هي:

التعابير الفعلية؛ التعابير الاسمية؛ التعابير الحرفية.

١- ١- التعابير الفعلية

نقصد بالتعابير الفعلية ما يبدأ بالفعل سواءً ظهر الفعل أم لم يظهر وفيما يأتي أمثلة لذلك:

- أصاب المحزَّ: أي صوّب نحو الهدف فأصابه.

معادله في الفارسية: به نشانه زدن،تير به هدف زدن،تير به خال زدن.

الحزّ: قطع العنق والمحزّ موضعه (ابن‌منظور، ١٩٨٨، مادة حزز). قطَع فأصاب المحزّ، و من المجاز: تكلّم أو أشار فأصاب المحزَّ (الزمخشري، ١٩٧٦، مادة حزز).

يبدو أنّ هذا التعبير يصوّر لنا مشهد نحر النوق.إذ إنّ الجزّار يصوّب مديته نحو نحر الناقة فيدسّه فيه و بعد وقوع الناقة على الأرض يقطع رأسها.

فهذا التعبير توسّع حقله الدلالي و أصبح يُستخدم لمن يتعرّض لموضوع فيصيب ما يقصده و يشير إلى صلب المشكلة بغية حلّها.

- أعاد الكرة إلى ملعب فلان: أي أبعد الخطر عن حوزته و خفّف الضغوط عليه.و هذا التعبير محدَثٌ يستخدَم في المعنى نفسه.

المعادل الفارسي: توپ را به خانه حريف انداخت.

- تجمّد الدّم في عروقه: كناية عن الخوف الشديد عند مشاهدة ما لايتوقع الإنسان مواجهته.

المعادل الفارسي: زهره ترك شدن

- جسَّ نبضَ فلان: أي جرّبه واختبره ليطّلع على ما يستبطنه.

المعادل الفارسي: نبض كسى را گرفتن.

- حشَر أنفَه: كناية عن فضولي يتدخّل فيما لايعنيه.

المعادل الفارسي: سرك كشيدن، نخود هر آش شدن.

- شرّق و غرّب: كناية عمّن يَطرَق حائراً كلَّ الأبواب بحثاً عن مطلوبه.

المعادل الفارسي:به هر درى زدن، به هر در كوفتن، از اين سو به آن سو رفتن.

- شقَّ عصا الطاعة: كناية عن التمرّد و العصيان.

المعادل الفارسي: گردن فرازى، سركشى، نافرمانى، سرپيچى.

- صبَّ عليه جامَ غضبه: أي غضب عليه غضباً شديداً. والتعبير استعارة تصريحية .

المعادل الفارسي: از كوره در رفتن.

- طوي بساطَ الإقامة: كناية عن الرحيل أو الاستعداد للرحيل .

المعادل الفارسي: بساط اقامت برچيدن، آهنگ سفر كردن، بار سفر بستن.

– عقَد ما بين حاجبيه: كناية عن تقطيب الجبين عند القهر والغضب.

المعادل الفارسي: سگرمه در هم كشيدن، چهره در هم كشيدن.

٢–١– التعابير الاسمية

نعني بالتعابير الاسمية ما يبدأ بالاسم سواءً أكان التعبير تركيباً إضافياً أم اسمياً أم جملة اسمية.و فيما يـــاتي نماذج من التعابير الاسمية:

– حبرٌ على ورق: كناية عن أمر لم يدخل بعد حيّز التنفيذ أو لن ينجز أبداً كبعض القرارات التي تُتّخذ و لم يبذل جهد لتنفيذها.

المعادل الفارسي: جوهر روي كاغذ.

– الجزرة و العصا: تعبير محدث و هو كناية عن الترغيب والترهيب.الجزر يرمز به للترغيـــب كمـــا أنّ العصا يرمز بها للترهيب. و هذا التعبير شائع استخدامه في القاموس السياسي.

المعادل الفارسي: هويج وعصا، و قد يقال: سياست هويج و عصا.

– ذئبٌ في ثياب حَمَلٍ: تعبير اسمي يستخدم لشخص وديع المظهر خبيث المخبر. في هذا التعـــبير شُـــبّه الانسان المخادع بذئب يلبس ثياب الحَمَل.

المعادل الفارسي: گرگ در لباس ميش.

– شديد الشكيمة: تعبير اسمي كناية عن الانسان الأبيّ الذي لا ينقاد بسهولة.والشكيمة هي الحديـــدة المعترضة في فم الفرس.

المعادل الفارسي: سازش‌ناپذير، نستوه.

– صفر على الشِّمال: تعبير اسمي وهو كناية عن شخص عديم النفع كأنّه صفر على يسار الأعـــداد لا يُساوي شيئاً بحيث إنّ وجوده وعدمه سَواءٌ.

المعادل الفارسي: بي‌ارزش، بي‌فايده، آنچه بودن و نبودنش يكسان باشد.

– طَلِق المُحيّا: تعبير اسمي كناية عن شخص بشوش يواجه الناس بحفاوة و دفء غير عـــابس. المحيّـــا: جماعة الوجه (ابن سيده، الموسوعة الشعرية، مادة حيا)

المعادل الفارسي: گشاده‌رو، صميمي، خنده‌رو.

– عودا أراكةٍ: تعبير اسمي و هو كناية عن شيئين متشابهين كأعواد شجرة الأراك.

المعادل الفارسي: مثل دو نيمه‌ي سيب اي مثل نصفي تفاحة.

– قَضُّهم و قَضيضُهم: تعبير اسمي يدلّ على اجتماع الناس و إقبالهم على أمرٍ يهمّهم صغيرهم و كبيرهم. القَضّ: الحصي الكبار و القضيض: الحصي الصغار. (الصاحب بن عباد مادة قضّ)

المعادل الفارسي: ريز و درشت، پير و جوان، خرد و كلان، كوچك و بزرگ.

– اليوم الأسود: تعبير اسمي يدلّ على وقت الحاجة و الشدّة. و هو شائع استخدامه على افواد الناس و كذلك في الأمثال منها: وفّر قرشَك الأبيض ليومك الأسود.

المعادل الفارسي: روز تنگدستي، هنگامهي فقر و تهيدستي.

٣–١– التعابير الحرفية

نعني بالتعابير الحرفية، التعابير التي تبدأ بالحروف. و فيما يأتي امثلة على هذا الصنف من التعابير:

– بجرّة قلمٍ: كناية عن السرعة و البتّ في الأمر.

المعادل الفارسي: به يك چشم بر هم زدن، به يك اشاره.

– بحَذافيره: بكلّ أجزائه و تفاصيله و كل دقائقه. كناية عن مجموعة بأسرها. حذافير الشيء: أعاليه و نواحيه. جاؤوا بحَذافيرهم أي جميعهم. (ابن‌منظور، مادة حذفر)

– على أطراف أصابعه: كناية عن الهدوء. و التعبير مأخوذ من صورة الماشي حين يخطو خطوات هادئة كيلا يوقظ الآخرين.

المعادل الفارسي: پاورچين حركت كردن، بي جنجال و هياهو كار كردن.

– على بَكرَة أبيهم: جميعهم، بأسرهم. (جاؤوا على بكرة أبيهم إذا جاؤوا جميعاً على آخرهم. قال ابن جنّي: عندي أنّ قولهم جاؤوا على بكرة أبيهم بمعنى جاؤوا بأجمعهم، هو من قولهم بكرتُ في كذا أي تقدّمتُ فيه، و معناه جاؤوا على أوليتهم أي لم يبق منهم أحد بل جاؤوا من أوّلهم إلى آخرهم). (ابن منظور، مادة بكر)

المعادل الفارسي: با ايل و تبار، از بيخ و بن.

– من قمّة رأسه إلى أخمَص قدميه: كناية عن الشمول و الإحاطة بالشخص أو أصالة صفة ما و تعمّقها. الأخمَص: باطن القدم (ابن منظور، مادة خمص)

المعادل الفارسي: از فرق سر تا نوك پا.

٢- التعابير الاصطلاحية دلالةً

كما مرّ سابقاً إنّ مدار التعابير الاصطلاحية و دلالاتها على الكناية و الاستعارة و التمثيل .و فما يأتي سيدور البحث عن كلٍّ منها:

٢-١- الكناية

قد تبيّن للباحث عند تجميع التعابير الاصطلاحية أنّ القسط الأوفر منها يندرج تحت الكناية و أقساهما الثلاثة:الموصوف و الصّفة و النسبة.

و الكناية من الأساليب البيانيّة الّتي اتّسع نطاقُها في التعابير الاصطلاحية.قال التفتازاني عن الكناية: (الكناية في اللغة مصدر لقولك كنيتُ بكذا عن كذا و كنوتُ إذا تركتُ التصريح به و هي في الاصطلاح يُطلق على معنيين أحدهما معنى المصدر الّذي هو فعل المتكلم أعني ذكرَ اللازم و إرادة الملزوم مع جواز إرادة اللازم أيضاً،فاللفظُ مكنيّ به و المعنى مكنيّ عنه).(سعدالدين التفتازاني، بلا تاريخ، ص٤٠٧)

و بناءً على هذا التعريف يمكن تحديد الكناية في الحدود التالية:

١- الدلالة على المعنى المجازي مع جواز إرادة المعنى الحقيقي.

٢- ذكر اللازم و إرادة الملزوم.

٣- عدم وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

و فيما يأتي أمثلة من التعابير الكنائية مع استخدامها في السياق:

- خفيف الرّداء: أي قليل العيال و الدّين.

فضّل أن يبقي خفيفَ الرّداء حتّي لا تُرهقَه تربيةُ الأولاد.

عاهَد أن يظلّ خفيفَ الرّداء حتّي لايُذلّه الدائنون.

ذئبٌ في ثياب حَمَلٍ: أي وديع المظهر،خفيف المَخبَر.

المنافقُ كالذّئب في ثياب الحَمَل يتظاهر لك بالودّ و يخفي لك الشّرّ.

أخرَج ما في جَعبته: أي أظهر ما عنده من كلامٍ و غيره.

لمّا دخل فريق المنتخب الوطنيّ ساحة الملعب و بدأت المباراة أخرَجَ كلّ لاعبٍ ما في جَعبته من مهارة.

أراد عرضَ أكتافه:أي ذهب و تركه.

أري صديقَه عرضَ أكتافه لّما تبين له أنّه لم يَعُد يأبهُ به.

رمَى حبلَه على غاربه: أي تركه و خلاّه يفعل مايشاء.حين رأى ابنَه لايعيره سمعاً رمَى حبلَه على غاربه.

٣-٢- الاستعارة

الاستعارة تحتلّ المكانة الثانية بعد الكناية في ميدان التعابير الاصطلاحية.و الاستعارة لغةً من العارية. يقال استعار المالَ أي طلبه عاريةً.و اصطلاحا:هي استعمال اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه و المعنى المستعمل فيه،مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.و الاستعارة ليست إلاّ تشبيهاً مختصراً و لكنّها أبلغ منه.و سبب الاختصار في الاستعارة أنّه يلزم عدم ذكر وجه الشبه و أداة التشبيه و أحد طرفي التشبيه أي المشبّه أو المشبّه به،بل و لابدّ أيضاً من تناسي التشبيه الّذي من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادّعاء أنّ المشبّه عين المشبّه به أو ادّعاء أنّ المشبّه فردٌ من أفراد المشبّه به الكلّي.

و فيما يأتي نماذج من التعابير الاستعارية:

خَفَضَ جَناحَه/خفض له جَناحَ الذّلّ:أي عطَفَ عليه و تواضَعَ له.و قد قال الله تعالى: ﴿**و اخفِضْ لهما جَناحِ الذُلِ من الرَّحمة**﴾ الإسراء٢٤

و هذا التعبير استعارة مكنيّة.و قد جاء عنه في كتاب إعراب القرآن الكريم و بيانه:

(هي استعارة مكنية، لأنّ إثباتَ الجَناح للذّلّ يُخيِّل للسامع أنّ ثمّة جناحاً يُخفَض،و المراد:ألن لهما جانبَك و تواضع لهما تواضعاً يلصقك بالتراب،و الجامع بين هذه الاستعارة و الحقيقة أنّ الجناحَ الحقيقيّ في أحد جانبي الطائر،و أنّ الطائر إذا خفَض جناحَه و هو الذي به يتقوّي و ينهض،انحطّ إلى الأرض و أسف إلى الحضيض و لصِق بالتراب،فالاستعارة مكنيّة إذ شُبِّهت إلانةُ الجانب بخفض الجناح بجامع العطف و الرّقّة ... هذه أجمل استعارة و أحسنها و كلام العرب جاءعليها) (محيي الدين الدرويش، ٢٠٠١، ج ٤:٣٤٠).

و قد جاء في الجدول: الاستعارة المكنيّة و التخييلية في قوله تعالى ﴿**واخفِض لهما جَناحَ الذُّلِّ**﴾

حيث شبّه الذّلّ بطائر من علوّ تشبيهاً مضمراً و أثبَت له الجناحَ تخييلاً و الخفضَ ترشيحاً.فإنّ الطائر إذا أراد الطيران و العلوّ نشر جناحيه و رفعهما ليرتفع فإذا ترك ذلك خفضهما و أيضاً هو إذا رأى جارحاً يخافه لصِق بالأرض و ألصق جناحيه و هي غاية خوفه و تذلّله؛و قيل:المراد بخفضهما ما يفعله إذا ضمّ فِراخَه للتربية.و إنّه أنسبُ بالمقام). (صافي،ج٣٤:١٥)

دارت رَحَي الحربِ:أي حَميت و اشتعلَت و أخذت تُهلك النّاس.و الرّحى أداة من الحجر تُطحَن بها الحُبوبُ.

و التعبير استعارة تصريحيّة إذ شُبّهت الحرب برحى الطاحونة بجامع الدَّوَران والسحق لما يقع تحتها، ثمّ حُذف المشبّه و بقي المشبّه به و أُلحق المشبّه بقرينة «الحرب» لتدلّ على إرادة المعنى غير الوضعي.

٤-٢- التمثيل

التمثيل نقصد به تشبيه التمثيل و الاستعارة التمثيلية لما بينهما من علاقة.ذذ الاستعارة التمثيلية مبنيّة على تشبيه التمثيل و وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد.و لهذا يعتبر تشبيه التمثيل أدّق أنواع التشبيه و الاستعارة المبنية على تشبيه التمثيل أبلغ أنواع الاستعارات.

و فيما يأتي أمثلة على التمثيل في ميدان التعبير الاصطلاحي:

- أ حَشَفاً و سوءَ كيلة:أي أ تجمع بين فساد السّلعة و النّقص في الكيل؟! و التعبير يضرب لمن يظلم من وجهين و أصله أنّ رجُلاً اشتري تمراً فإذا هو رديءٌ و ناقص الكيل فأخذ التمر إلى بائعه و قال له«أ حشفاً و سوء كيلة؟»

- أراه الكواكبَ بالنّهار: استعارة تمثيلية تضرب لمن يصيب شخصاً بمكروه لم يعهده من قبل،كالذي يريد أن ينال خصمَه مكروهاً فيؤذيه إيذاءً شديداً يجعل نهارَه كليلِه أسودَ مظلماً فيمكنه أن يريه الكواكبَ.و ليتّضحَ معنى التعبير فلابدّ من مثال:

ما أعار أبويه أذناً صاغيةً فتزوّج من بنت سليطة أرَته الكواكبَ بالنّهار.

ممّا لا شك فيه أنّ الدلالة و نعني بها هنا الدلالة البلاغية مما تتميّز بها التعابير الاصطلاحية إذ إنّها تمتاز عن الكلام العادي بهذه الميزة.فالتعابير الاصطلاحية من هذا المنطلق أبلغ من غيرها و على هذا الأساس فإنّ البلغاء يستخدمون مثل هذه التعابير ليزيدوا كلامهم طلاوة و بهاء و ليجعلوه أوقع في النفوس.و لنقارنَ بين الكلام الذي استخدمت فيه التعابير الاصطلاحية من غيره يكفينا نظرة و لو عابرة إلى هذين الضربين من الكلام.و فيما يلي نماذج من التعابير:

- أعاره أذناً صمّاء أي أهمل حديثه و لم يصغ إليه.
- لا يُعيرُه أذناً صاغيةً أي لا يهتمّ بكلامه.
- لا يقيم لكلامه وزناً إي يهمله و لا يهتمّ به.

كما نري في الأمثلة الثلاثة أنّ القاسم المشترك بينها هو عدم الاهتمام بكلام من يجري الحديث عنه. و الملاحظ في الأمثلة أنّه في هذه التعابير قد استُخدمت صور بلاغية كالكناية و كما هو المعلوم أن الكناية أبلغ من التصريح بالقول«يهمل كلامه» أو «لا يهتم بحديثه»و هذا بغضّ النظر عن جمالية الأسلوب المستخدمة فيها.

و بعد إن أحصى الباحث عدداً غير قليل من التعابير الاصطلاحية و أمعن النظر فيها تبيّن له أنّ بعض التعابير الاصطلاحية لا يدلّ معناها الوضعي على معناهاالاصطلاحي فإنّ هذا الضرب من التعابير الاصطلاحية قد تجاوز معناه الوضعيَّ أو الحقيقيَّ و اكتسب عن طريق التركيب أو الاستعمال معاني أخري حيث إنّ معناه الظاهر لا يدلّ على معناه الباطن و لا يمكن للمخاطب أن يستنبطه إلاّ من خلال السياق. و على سبيل المثال فإنّ كلمة «ضرب» تدلّ في مفهومها العامّ على الإصابة و اصطدام الشيء بالشيء إلاّ أنّها تجاوزت معناها الوضعيَّ إلى معانٍ أخرى اكتسبتها من خلال السياق و علاقتها بالكلمات الأخرى.و ليتّضحَ الموضوع فقد تمّ فيما يأتي سرد عدد من مدلولات كلمة «ضرب»:

- ضرب الدّرهمَ: طَبَعه. (ابن منظور، مادة ضرب)
- ضرب الشيءَ بالشيء: خلَطه. (نفس المصدر، مادة ضرب)
- ضربَت العقربُ: لَدَغَت. (ن م، مادةضرب)
- ضرب العِرقُ والقلبُ: نبضَ و خفَقَ. (ن م، مادةضرب)
- ضرب الليلُ بأرواقه: أقبَل (ن م، مادةضرب)
- ضرب عنه الذّكرَ: صرَفه. (ن م، مادةضرب)
- ضرب على أذنيه: منعه أن يسمع شيئاً.كما جاء في التنزيل: ﴿**فضَرَبنا على آذانِهم في الكهفِ سنينَ عَدَدا**﴾ الكهف ١١. قال الزجّاج: منعناهم السمعَ أن يَسمعوا، والمعنى: أنمناهم و منعناهم أن يَسمعوا لأنّ النائم إذا سمع انتَبَه. (ن م، مادة ضرب)
- ضرب على غِراره: اتّبعه.
- ضرب على يده: كفّه عن الشيء. (ن م، مادةضرب)
- ضرب عليه حصاراً أو نطاقاً: حاصَرَه.
- ضرب عليه كذا: قرّر له شيئاً.
- ضرب في الماء: دخل الماء و سبح.
- ضرب في الأرض: ابتغي الخير من الرّزق. قال الله عزّوجلّ: ﴿**وإذا ضَرَبتُم ضَربتُم في الأرضِ**﴾؛ أي سافرتم، و قوله تعالى: ﴿**لايَستطيعونَ ضَرباً في الأرضِ**﴾. البقرة٢٧٣

- ضرب في سبيل الله: نَهَض. (ن م، مادة ضرب)
- ضرب كفّاً بكفٍّ: تعجّب و تحيّر.
- ضرب له أجلاً: حدّد له وقتاً لعملٍ ما.
- ضرب له الأرضَ كلّها: فتّش عنه و طلبه.

كما هو المعلوم في العبارات الاصطلاحية المذكورة إنّ فعل«ضَرَب» بعد تركيبه مع الكلمات المجاورة له تغيّر معناه و اكتسب معنى يختلف عمّا كان عليه قبل التركيب و ذلك إنّما بسبب المؤثّرات التي أثّرت في تجاوزه معناه الوضعي إلى معناه الاصطلاحي.و الملاحظ في هذا النوع من العبارات الاصطلاحية أنّه يجوز فيها التحوّل من صيغة إلى أخري أي يمكن أن يتحوّل الماضي إلى المضارع ثمّ إلى الأمر و هكذا.

و هناك ضرب آخر من التعابير الاصطلاحية حيث يدلّ ظاهر لفظه على معناه الاصطلاحي أيضاً.و فيما يأتي نموذجان منه:

- جَرّ النّارَ إلى قُرصه:

يُستخدم هذا التعبير لمن لا يكترثُ إلاّ بمصالحه بل و هو يُؤثر نفسه على غيره.و لو نتأمّل قليلاً في هذا التعبير نري أنّ باطنه يدلّ على ظاهره حسبما يقتضيه التركيب إذ جرُّه النّارَ إلى قُرصه يدلّ على الأنانية و ترجيح المرء نفسَه على غيره.والمعلوم في هذا التعبير أنّ المعنى القريب قد دلّ على المعنى البعيد والمعنى التصريحي إلى المعنى الاصطلاحي كما أشار الجرجاني في الدلائل إلى نفس الموضوع حيث تحدّث عن«معنى المعنى».

- القَشّة الّتي قصَمت ظهرَ البَعير:

يُستخدم هذا التعبير لكلّ شيء حقيرٍ يؤدّي إلى أمرٍ خطيرٍ كالقشّة و الّتي هي مع صغر حجمها و خفّة وزنها قد تؤدّي حسب هذا التعبير إلى قصم ظهر البعير على سبيل المبالغة.

٣- التعابير الاصطلاحية مأخذاً

التعابير التي شاع استخدامها في اللغة العربية تتنوّع مآخذها.فهناك تعابير استخدمت في القرآن الكريم و هناك تعابير جرت لأوّل مرّة على لسان الرسول الأكرم (ص) ثمّ انتشرت بين المسلمين و غيرهم كما وهناك تعابير تراثيّة في الشعر و النثر و تعابير مستحدثة صيغت و بدأت الألسنة تتداولها و القسم الأخير عبارة عن التعابير التي دخلت العربيّة فتمّ تعريبها.و فيما يلي نتناول هذه الأقسام الخمسة على سبيل الإيجاز.

١-٣ التعابير القرآنية

التعابير القرآنية كبقية التعابير الاصطلاحيُة شائع استعمالها في اللغة العربية.و فيما يأتي نماذج منها:

تقطّعت بهم الأسباب: أي عجَزوا و أصبحت لا حيلة لهم و لا قوّة.و الأسباب جمع سبب أي الوسيلة.قال الله تعالى: ﴿**إذ تبرّأ الّذينَ اتُّبعوا من الّذين اتَّبعوا و رأوُا العذابَ و تقطّعت بهم الأسبابُ**﴾. البقرة: ١٦٦.روي السيوطيّ بطرق عدّة عن ابن عبّاس و مجاهد أنّ الأسباب في الآية الشريفة أي المودّة و الأرحام و الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا. (السيوطي،ج٢:٤٠٢:١)

ثُقُلت موازينُه: أي حَسُنت أعماله.و قد قال الله تعالى: ﴿**فأمّا من ثَقُلت موازينُه فهو في عِيشَةٍ راضيةٍ**﴾ (القارعة: ٧ و ٦).قال الطبرسيّ في معنى الآية: (رجحت حسناتُ و كثرَت خيراتُه). (الطبرسي، ج ١٠:٨٠٨)

حتّي يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط: كناية عن أمر مستحيل.يلج أي يدخل. سَمّ الخياط:ثَقبُ الإبرة. و قد قال الله تعالى: ﴿**إنّ الّذين كذّبوا بآياتنا و استكبَروا عنها لا تفتّح لهم ابواب السَّماء و لايدخلون الجنّةَ حتّي يلج الجمَل في سَمِّ الخياطِ**﴾ الأعراف ٤٠. قال الطبرسيّ في معنى الآية: (أي حتّي يدخل البعير في ثقب الإبرة و المعنى لايدخلون الجنّة أبداً) (نفس المصدر،ج ٤:٦٤٦:٤)

سُقط في يده: كناية عن الخطأ أو الزّلل أو الندم. و جاء في اللسان «قد سَقط من يدي و سُقِط في يد الرّجُل: زلّ و أخطأ و قيل: نَدِم. يقال للرجل النادم على ما فعل: حسر على ما فرَط منه، قد سُقِط في يده و أُسقط. و قد قرئ: سَقَط في أيديهم كأنّه أضمر النَّدَم أي سقَط النّدمُ في أيديهم. (لسان: سقط) و قد قال الله تعالى ﴿**و لمّا سُقِطَ في أيديهم و رأوا أنّهم قد ضَلّوا قالوا لئن لم يَرحَمنا ربُّنا و يغفِر لنا لنَكونَنَّ من الخاسرينَ**﴾ الأعراف ١٤٩. قال الطبرسيّ في معنى الآية (أي فلمّا لحقتهم الندامة. معنى سقط في أيديهم في أيديه موقع البلاء في أيديهم أي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك المنادم عندما يجده ممّا كان خفي عليه.) (ن م، ج١٠:٧٣٩)

عَضَّ أناملَه (غيظاً): غضِبَ شديداً مع الحَسرَة و النّدم. و قد قال الله تعالى ﴿**و إذا خَلَوا عَضّوا عليكم الأناملَ من الغيظِ**﴾ آل عمران ١١٩.

٢-٣- التعابير النبويّة

نجد بين التعابير الاصطلاحية ما جري على لسان الرسول الأكرم (ص) لأوّل مرّةٍ، منها:

– خَضراء الدِّمَن: كناية عن مرأة جميلة المظهر، قبيحة المخبر. والدِّمن ج دمنة أي المَزبَلة و ما تبقّي من آثارٍ. و قد جاء في الحديث الشريف: «إياكم و خضراءَ الدِّمَن، و قيل ما ذاك يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبتِ السُّوء» (الميداني، ص ٢٩١٨، ابن عبدربه، ص ٥٥٠٣، التفتازاني، ص ٧٩٣)

– حَمِيَ الوطيسُ: كناية عن شدّة الأمر أو الحرب.الوطيس: التّنور (لسان: وطس) .. قد جاء في الخبر أنّ رسول الله (ص) استعمل هذا التعبير لّما اشتدّت الحربَ في غزوة حنين بين المسلمين و الكفّار. (نفس المصادر)[1]

– رُفِعَت الأقلامُ و جَفَّت الصُّحُفُ: كناية عن انتهاء الأمر. و قد قال النّبيُّ (ص): «واعلَم أنّ الأمّةَ لو اجتَمَعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك و لو اجتمعوا على أن يَضُرّوك لم يضُرّوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله لك، رُفِعَت الأقلامُ و جَفَّت الصُّحُفُ» (الأبشيهي ص ٣٢٣).

٣–٣– التعابير التراثية

هذا القسم من التعابير ممّا ورد في التراث العربي القديم ،منها:

– بلغ السيلُ الزُّبي: هذا التعبير كناية عن اشتداد الأمر و تجاوزه الحدَّ.و الزّبي مفردها الزُّبية و هي الرابية التي لا يعلوها الماءُ، «و كتب عثمان إلى علي [عليه السّلام] لّما حوصر: أمّا بعدُ فقد بلَغ السيلُ الزّبي و جاوَز الحزامُ الطِّبيين، فإذا أتاك كتابي هذا فأقبِل إلي، على كنت أم لي؛ يضرب مثلاً للأمر يتفاقم أو يتجاوز الحدّ حتي لايُتَلافي.» (ابن منظور، مادة زبي)

– دونَه خَرطُ القَتاد: هذا التعبير كناية عن أمرٍ صعبٍ مُستَعصٍ. الخَرط: قِشرك الورقَ عن الشّجر اجتذاباً بكفّك. (لسان: خرط). و القتاد: شجرٌ له شَوك أمثال الإبر و له وريقة غبراء (نفس المصدر، مادة قتد)

– ضِغثٌ على إبّالة: هذا التعبير تمثيل يكني به عن شرّ فوق شرّ و بليّة على بليّة. و (الضِّغث: كلُّ ما ملأ الكفّ من النّبات). (لسان: ضغث). و (الإبالة: الحُزمة من الحشيش و النبات). (ن م، مادة أبل)

– على بَكرَةِ أبيهم: أي جاؤوا جميعاً. «و في الحديث: جاءت هَوازنُ على بَكرةِ أبيها، هذه الكلمة للعرب يريدون بها الكثرة و توفير العدد و أنّهم جاؤوا جميعاً لم يتخلّف منهم أحد. و قال ابو عبيدة: معناه

جاؤوا بعضهم في إثر بعض و ليس هناك بكرة في الحقيقة و هي التي يستقي عليها الماء العذب فاستعيرت في هذا الموضع.» (ن م، مادة بكر)

– طوَي عنه كشحَه: أي أعرَض عنه و ترَكه. «الكشح:مابين الخاصرة إلى الضّلع الخَلف. طوي كشحَه عنه إذا أعرَض عنه. (ن م، مادة كشح)

٤–٣ التعابير المستحدثة

إنّ نطاق التعابير أخذ بالاتّساع في العصورالمتأخّرة بفعل نموّ المجتمع العربيّ المتصاعد و من هذا المنطلق نجد في مجال التعابير الاصطلاحيّة عدداً كبيراً من التعابير المستحدثة.و فيما يلي نماذج منها:

– أذّن في مالطا: كناية عن فعلٍ لاطائل تحته كما أنّ الأذان في بلاد الكفر غير مُجدٍ فلا يجلب أحداً إلى المساجد. ومالطا بلد غير مسلم في البحر الأبيض المتوسّط لايقطنه المسلمون إلاّ قليلاً.

– خرج على القانون: و هو تعبير محدث صيغَ في العقود الأخيرة لمن ينتهك شؤون الدولة باتخاذه قرارات منافية للقانون.

– دفَع الثمنَ غالياً: تعبير محدث يستخدم كنايةً لمن تعرّض لخسارة فادحة بسبب أخطائه.

– غرِق في (الدَّين) حتّي أذنيه: كناية عمّن كثُرَت ديونُه.

– روح رياضيّة: كناية عن سعة الصّدر و تقبّل الهزيمة.

– ذاب الثّلجُ: كناية عن زوال الجفوة و عود العلاقات إلى سابق عهدها.

٥–٣– التعابير المعرّبة

التعابير الأجنبيّة تسرّبت في اللغة العربيّة بفعل انفتاح الحضارة العربيّة على الحضارات المحيطة بها و مدّ التواصل فيما بينها و كان لهذا التواصل تأثير متبادل.و فيما يلي نماذج من التابير المعرّبة:

– حصّة الأسد: كناية عن الفوز بالنصيب الأوفر و الجزء الأكبر من كلّ شيءوهذا التعبير دخل العربيّة من الإنكليزيّة و أصله (Lions' share).

– الجزرة و العصا: كناية عن الترغيب والترهيب فالجزر يوحي إلى الترغيب والعصا توحي إلى الترهيب و هذا التعبير دخل العربية و الفارسية وأصله (Carrot and Stick)

– حطّم الرقم القياسيّ: كناية عن الحصول على قصب السبق في أمر معين و هو مأخوذ من التعبير الإنجليزي (Broke the record)

– ساعة الصّفر: كناية عن الوقت المحدّد لانطلاق صاروخ، أو البدء في معركة، أو الوقت المناسب لتنفيذ أمر مّا و هو مقترض من التعبير الإنجليزي (Zero Hour)

– تلقّى الضّوءَ الأخضرَ: كناية عن الحصول على موافقة من له الصلاحية لتنفيذ أمر ما و هو مقترض من التعبير (Received the green light)

– شريعة الغاب: كناية عن اعتماد القوة القهرية لإكراه الغير على تنفيذ أمر أو القبول به غصباً عنه و هو مقترض من التعبير (The law of the Jungle).

الترادف و الاشتراك اللفظي

لا شك أنّ ظاهرة الترادف و الاشتراك اللفظي منتشرة في اللغة العربية كسائر اللغات و خاصّةً في مجال التعابير الاصطلاحية.و لكن ما يجدر الإشارة إليه أنّ الترادف لايعني الانطباق التامّ بين كلمتين أو تعبيرين إذ لكل كلمة مدلولَها الخاصّ بها الذي تكاد الكلمات المرادفة تختلف عنها.و الباحث عند تجميع التعابير و تقصّيها قام بتصنيفها من منطلق الترادف و الاشتراك اللفظي إلاّ أنّالمجال لا يسَع إلاّ التطرّقَ إلى بعضها.و فيما يأتي نماذج من الترادف و الاشتراك اللفظي:

أوّلاً، الترادف

– وقَفَ بجانبه، شدّ أزرَه، مدّ له يدَ العون، أخَذَ بيده، بسط إليه يد المساعدة،

– أي عاونه و ساعدَه و أسعفه.

– ذاعَ صيتُه، تألّق نجمَه، بزغ نجمُه.،أي اشتهر بعد خُمول.

– سال لُعابُه، تحلّب فوه، أي تشوّق للأكل أو اشتهى شيئاً.

– حَرَق له البخور، تمسّح بأعتابه،أي تملّقه و تذلّله و داهنه.

– رحل إلى الأبد، انتقل إلى جوار ربّه، انتقل إلى الرفيق الأعلى، انتقل إلى دارالقرار،انتقل إلى رحمة الله، قضى نحبَه، لقيَ حتفَه، لقيَ مصرعَه، أنشبت فيه المنيّةُ أظفارَها،أي مات و تُوفّي.

– على مدّ الذّراع، على مرأى منه، على مرمى حجرٍ منه،أي قريب منه.

فكما نري في كلّ مجموعة من التعابيرالسابقة أنّها تدلّ على معنى واحد مترابط مع اختلاف بسيط بين تعابير كل مجموعة؛ فعلى سبيل المثال إنّ تعابير المجموعة الأخيرة تدلّ على القرب إلاّ أنّ كلّ تعبيرمنها يدلّ على قدر معيّن من هذا المدلول.

ثانياً، الاشتراك اللفظي

المقصود من الاشتراك اللفظي كما هو المعلوم أن تكون للتعبير صورة لفظية واحدة و له اكثر من معنى،حسبما يقتضيه الموقف. وفيما يأتي نماذج من الاشتراك اللفظي:

– مدّ يدَه لفلان، ساعده و عاونه، سأله إحساناً، همّ بضربه.

– انتَفخَت أوداجُه، غضب و اغتاظَ

التعابير الاصطلاحية بين العربية و الفارسية

ممّا لا شك فيه إنّ التواصل بين العربية و الفارسية قديم جدّاً حيث تمتدّ جذوره إلى العهود السحيقة و من الواضح جدّاً أنّه كان هناك أخذٌ و عطاءٌ بين اللغتين من خلال هذا التواصل. و ليس من المبالغة إذا قلنا إنّ العلاقة التي تربط بينهما تكاد تكون غير معهودة بينهما و بين سائر اللغات المحيطة بهما. و مايجدر بنا الإشارة إليه إنّ ظاهرة التأثير و التأثّر المتبادلة بينهما لاتقتصر على المفردات فحسب و إنّما هي تمتدّ إلى الحقل الدّلالي و السياقيّ أيضاً.و لا ريب أنّه كان للصِّلات الثّقافية و الدّينية و التقارب الجغرافي و علاقات المصاهرة بين العرب و الإيرانيين الدور الأهم في هذا التبادل.

و فيما يتعلّق بالتعابير الاصطلاحية بين العربية و الفارسية فقد توصّل الباحث إلى أنّها تنقسم إلى ثلاثة أقسام كما يأتي:

– التعابير المتشابهة سياقاً و دلالةً؛ التعابير المختلفة سياقاً و المتشابهة دلالةً؛ التعابير المتشابهة سياقاً و المختلفة دلالةً. و فيما يلي نماذج من الأقسام المذكورة:

١– التعابير المتشابهة سياقاً و دلالةً

لو نستعرض التعابير الاصطلاحية نجد أنّ قسماً ملحوظاً منها مشتركة بين العربية و الفارسية سياقاً و دلالةً. و التعابير التي تندرج تحت هذا القسم لابدّ أنّها خضعت لظاهرة التأثير و التأثّر نتيجةً لاحتكاك العرب و الايرانيين و سائر المؤثرات التّي تركت وطأتها في ميدان التعابير الاصطلاحية. و لكي يتعرّف القارئ العربيّ و الفارسي إلى بعض هذه التعابير قمنا بسرد عدد منها:

– أخَذَ بأنفاسه: نفس كسى را گرفتن؛ أخذ (گرفت و مصدره گرفتن)، و الأنفاس (نفس، استعمل هنا في الفارسية على صيغة المفرد) أي ضيق عليه و غلَبَه.

– أخَذ بتَلابيبه: يقه‌ى كسى را گرفتن؛ تلابيب في الفارسية هي (يقه، و التي يقال لها في العربية ياقة)، أي أمسك بخناقه و تمكن منه.

– أراقَ ماءَ وجهه: آبروي كسى را ريختن؛ أراقهو (ريخت، و مصدره ريختن)، الماء (آب)، و الوجه (رو)، أي أهدر كرامته و مسّ بشرفه.

– ارتَمى تحتَ قدمَيه: به پاي كسى افتادن؛ ارتَمي (افتاد، و مصدره افتادن)، قدم (پا)، أي أظهر له الذّلّ.

– أرهَف سمعَه: گوش تيز كردن، أرهَف (تيز كرد، و مصدره تيز كردن)، سمعٌ(گوش). و هو أن يصغي بانتباه شديد.

– أسالَ لُعابَه: آب دهان راه انداختنأسال (راه انداختن، جاري كردن)، و اللُّعاب (آب دهان أي ماء الفم)، أي أغراه و رغّبه في أمر.

– أسلم الرّوحَ: جان به جان آفرين تسليم كردن؛ أسلَمَ (تسليم كردن)، الروح (جان)، أي مات.

– استوَى على قدميه: روي پاى خويش ايستادن. استوَى (ايستاد، و مصدره ايستادن أي النهوض)، القَدَم (پا)، أي نَهَض بعد ضعف أصابَه.

– أعاره سمعاً: گوش سپردن، گوش دادن؛ أعارَ (سپرد، و مصدره سپردن)، و السّمع (گوش)، أي أصغى إليه باهتمام.

– جَرَّ النارَ إلى قُرصه: آتش به زير نان خود كشيدن؛ جرّ (كشيد، و مصدره كشيدن)، النّار (آتش)، قُرص (نان)، أي آثَر نفسَه بالخير على غيره.

– حبَس أنفاسَه: نفس [در سينه] حبس كردن؛ حبَس (حبس كرد، نگاه داشت). أنفاس (تستعمل في هذا التعبير بصيغة المفرد). و يزيد التعبير الفارسي على معادله العربي بكلمة (سينه) أي الصدر. أي حبس أنفاسه في صدره و هو كناية عن الخوف والدّهشة.

– حفَر قبرَه بيده: با دست خود گور خويش كندن؛ حفَر (كند، و مصدره كندن) القبر (گور، قبر)، اليد (دست)، أي تسبّب في هلاك نفسه.

– حمَل روحَه على كفّه: جان بر كف گرفتن؛ حمَل (گرفت، برداشتو مصدره گرفتن و برداشتن)، الرّوح (جان)، و الكفّ (كف) أي خاطَرَ و غامرَ لأمر يطمح أن ينالَه.

– خلَع يدَه من طاعته: دست از طاعت كسى برداشتن؛ خلَع (برداشت و باز كشيد)، اليد (دست)، الطاعة (طاعت)، أي عصاه و تمرَّد عليه.

– دَقَّ ناقوسَ الخطرِ: ناقوس خطر كوفتن؛ دَقَّ (كوفت، كوبيد و مصدره كوفتن و كوبيدن). أي أنذَر و حذَّر.

– ذئبٌ في ثياب حَمَلٍ: گرگ در لباس ميش؛ ذئب (گرگ)، حمَل (برّه و ميش أي الخروف)، أي مُخادع.

– ذهَب أدراجَ الرّياح: به باد رفتن، به هدر رفتن؛ ذهب (رفتن و مصدره رفتن)، الرّيح (باد) و الرّياح (بادها)، في التعبير الفارسي استعملت صيغة المفرد بدل صيغة الجمع. أي ذهب هَدراً بلا نتيجة.

– ذرَفدموعَ التماسيح: اشك تمساح ريختن؛ ذرف (ريختن، اشك ريختن)، دموع (اشك ها) و الدّمع (اشك)، في التعبير الفارسي هنا جاءت صيغة المفرد. و معنى التعبير: تظاهر بالبكاء خدعةً.

– ذوالوجهين: دورو، منافق؛ الوجه (رو)، ذوالوجهين (دورو)

– رفَعالرّايةَالبيضاءَ: پرچم سفيد برافراشتن؛ رفع (برداشت و مصدره برداشتن) الرّاية (پرچم)، البيضاء (سفيد). أي استسلم و خضَع.

– سالَ لُعابُه: آب از دهان راه افتادن؛ سال (راه افتاد، جارى شد)، اللُعاب (تقدّم ذكره). أي رغِب في الأمر و اشتهاه.

– طار النّومُ من عينيه: خواب از چشم پريدن؛ طار (پريد و مصدره پريدن)، النّوم (خواب)، العين (چشم). أي سهِر و قلِقَ.

– طوَى بساطَ الإقامة: بساط اقامت برچيدن؛ طوَى (برچيدن، در هم پيچيدن)؛ أي رحَل و سافَر.

– عضَّ بنانَ النّدمِ: انگشت پشيماني به دندان گزيدن؛

– عضّ (گزيد و مصدره گزيدن)، بنان (انگشت)، النّدم (پشيمانى). أي أظهَر النّدمَ.

– قطَع عليه حبلَ أفكاره: رشته افكار كسى را گسستن؛ قطَع (گسست و مصدره گسستن)، الحبل (رشته). أي شوّش عليه.

٢– التعابير المختلفة سياقاً و المتشابهة دلالةً

و أمّا بالنسبة لهذا النّوع من التعابير فهناك عدد غير قليل من التعابير الاصطلاحية تتميز بهذه الميزة. و فيما يلي نماذج من هذا القسم:

– استوى الماءُ و الخشبة: أي تساوى الخبيثُ و الطيبُ و الجيدُ والرّديءُ.

و يعادله في الفارسية: دوغ و دوشاب يكي است. (دهخدا، ١٣۶٣، ج ٢:٨۴٠) و معناه الحرفي (لا يفرّق بين الزّبادي أو اللبن المخفّف بالماء وبين دبس العنب) .يقال إنّ دبس العنبكان ذا قيمة لدى الرّعاة خلافاً للبن المزيج بالماء الذي كانوا يهملونه.فالذي كان الدبس و اللبن بهذه الميزة عنده سواء يقال له «دوغ و دوشاب پيش او يكى است».

– جعَل من الحبّة قُبّةً: أي بالَغ في الأمر.و يعادله في الفارسية :از كاه كوه ساختن أي (أن يجعل من التّبنة جبلاً).و إنّ «كاه» و «كوه» كلمتان ذات نغمة واحدة و هذا هو السّرّ في جعلهما في تعبير واحد، إضافة إلى ما تحملانه من معنى. فلفظة كاه أي تبنة تدلّ على الصّغر و الشيء التافه و عكس ذلك فإنّ لفظة كوه أي الجبل تدلّ على العظمة و نفس الحالة قائمة بين كلمتي الحبّ و القبّة إلاّ أنّ التعبير الفارسي أشدّ مبالغة من نظيره في العربيّة.

– زاد الطّينَ بلّةً: أي زاد المشكلة تعقيداً و جعل الموقفَ أسوأ ممّا كان عليه. و نظيره في العربية: ضغثٌ على إبّالة.و معادله في الفارسية: قوز بالا قوز (دهخدا ج ٢:١١۶٨)،و معناه الحرفي(تعَبٌ على تعَبٍ).

– أراد الكواكبَ بالنّهار: أي أصابه مكروهاً لم يعهده من قبل. كما أنّ إبراز الكواكب في النّهار أمر غير معهود. و معادله في اللغة الفارسية كما مرّ سابقاً :روزگار كسى را سياه كردن،أي سوّد عليه نهاره أو دهره. فالنهار إذا اسودّ و اكفهرّ يمكن فيه رؤية الكواكب.

– حشَر أنفَه: أي تدخّل فيما لا يعنيه كفضوليّ يريد أن يطّلع على ما لا يمتّ إليه بصلة و يشمّ بأنفه ما حوله. و معادله في الفارسية :سرك كشيدن أي (أن يمدّ رأسَه) إلى شيء بغرض التدخّل و الاستطلاع.

٣– التعابير المتشابهة سياقاً و المختلفة دلالةً

و القسم الأخير من التعابير الاصطلاحية هو ما يكون مشابهاً للتعابير الفارسية سياقاً لا دلالةً. و هذا القسم لا نجد له أمثلة كثيرة في العربية و الفارسية بقدر ما هو في القسمين السابقين.و فيما يلي نموذج منها:

– كما تُسَلّ الشعرةُ من العجين:كناية عن أمر يتمّ بسهولة دون أن يشعر به أحد.إلاّ أنّ هذا السياق يدلّ في الفارسية المعاصرة على معنى يختلف عن دلالته في العربيّة و التعبير الفارسي هو: «موي از شيريا ماست بر آوردن يا كشيدن» أي «كما يَسُلّ الشعرةَ من أو الحليب أو اللبن».فهذا التعبيرلايدلّ على معنى نستنبطه من التعبير العربي.

النتائج

١- التعابير الاصطلاحيّة هي مجموعة تراكيب أو عبارات قد تجاوزت معناها الوضعيَّ أو اللغويَّ إلى معنى أو معانٍ ثانوية يتوقّف فهمها على سياقها وقرائنها في الجملة.

٢- التعابيرالاصطلاحية من الجانب الدلالي إما كناية أو استعارة أو تمثيل.

٣- لم تسلم التعابير الاصطلاحية من التطور الدلالي كغيرها من التعابير والمفردات.

٤- التعابير الاصطلاحية من الجانب البينوي تنقسم إلى التعابير الفعلية و الاسمية و الحرفية.

٥- التعابير الاصطلاحية تتبع ظاهرة الترادف والاشتراك اللفظي.

٦- التعابير من حيث المأخذ تنقسم إلى التعابير القرآنية و النبوية و التراثية و المستحدثة و المعرّبة.

٧- هناك تعابير متشابهة بين اللغتين العربية والفارسية سياقاً و دلالةً و هناك تعابيرمختلفة سياقاً ومتشابهة دلالة كما و هناك تعابير متشابهة سياقاً و مختلفة دلالةً.

٨- نظراً لأهمية التعابير الاصطلاحية في اللغة ينبغي الاهتمام بتعليمها لدارسي اللغة العربية وآدابها من خلال مواد البلاغة والمهارات اللغوية.

المصادر

- ابن منظور، (١٩٨٨م). «**لسان العرب**»، بيروت: داراحياء التراث العربي.
- البعلبكي، منير، (١٩٩١م). «**المورد قاموس انكليزي-عربي**»، بيروت: دارالعلم للملايين.
- التفتازاني، سعدالدين، (بلا). «**شرح المختصر**»، طهران: أفست مصباحي.
- الجرجاني، عبدالقاهر، (بلا). «**دلائل الإعجاز**»، مصر: دارالمنار.
- الدرويش، محيي الدين، (٢٠٠١م). «**إعراب القرآن الكريم و بيانه**»، دمشق: دار ابن كثير، ط ٤.
- دهخدا، علي اكبر، (١٩٨٤م). «**امثال و حكم**»، طهران: انتشارات امير كبير، ط٢.
- الزمخشري، جارالله، (١٩٧٨م)، «**أساس البلاغة**»، القاهرة: دارالمعارف.
- السيوطيّ، عبدالرحمن جلال‌الدّين، (١٤١٤ د.ق). «**الدرّ المنثور في التفسير المأثور**»، بيروت: دارالفكر.

– صافي، محمود، (١٤١١ه.ق). «**الجدول في إعراب القرآن و صرفه و بيانه**»، دمشق: دار الرشيد، ط ١.

– الصيني، إبراهيم وآخرون، (٢٠٠٥م). «**المعجم السياقي للتعابير الاصطلاحية**»، بيروت: دارالعلم للملايين.

– الطبرسيّ، الشيخ أبوعليّ الفضل بن الحسن، (بلا). «**مجمع البيان في تفسير القرآن**»، بيروت: دارالمعرفة.

المصادر الإلكترونية

– الأبشيهي، محمدبن أحمد، (٢٠٠٣م)، «**المستطرف في كلّ فنّ مستطرف**»، برنامج الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي،ابوظبي.

– ابن الشجري، (٢٠٠٣م)، «**الأمالي الشجرية**»، برنامج الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، ابوظبي.

– ابن سيدة، (٢٠٠٣م)، «**المعاجم، المحكم و المحيط الأعظم**»، برنامج الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، ابوظبي.

– الميداني، (٢٠٠٣م)، «**الأمثال**»، برنامج الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، ابوظبي.

– ابن‌عبد ربه، (٢٠٠٣م)، «**العقد الفريد**»، برنامج الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، ابوظبي.